قبل بعثة الحبيب ﷺ

لقد عاش اليهود قبل مولد الحبيب في كيان منفصل، وشكلوا قوةً ضاربةً ومسيطرة على العالم آنذاك، وكانت نقطة انطلاقهم الأولى هى «بيت المقدس»، ثم تسرّبوا إلى جزيرة العرب تدريجيا؛ مهاجرين عبر عصور وأحقاب، لينضموا إلى أجدادهم؛ الذين طاب لهم المقام فى بلاد الحجاز، بعدما فروا من بيت المقدس، أيام أحرقها «بختنصر»، وذلك قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام.

وبعدئذ بدأ عددهم يزيد في شبه جزيرة العرب، وسكنوا يثرب انتظارا لمولد النبي الجديد لكي يؤمنوا به كما زعموا!!!: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ويتوعدونهم، فيقولون للأوس والخزرج:

«إن بُعِث نبى آخر الزمان فلسوف نتّبعه، فتكون لنا الغلبة والإمرة عليكم، ولسوف نقتّلكم ونبيدكم كما أُبيدَت عاد وثمود !!!».

ولكنهم هيهات أن يذعنوا للحق؛ لقد قاوموه ووقفوا في وجهه!.

إنهم بعدما بعث النبي وهاجر إلى يثرب التي سكنوها، وتأكدوا أنه آخر الزمان، كفروا به، فلعنة الله على الكافرين!!.

إن النرجسية وهى «حب الإنسان لذاته، وإعجابه والفخر بها»، لتنطبق تماما على هيئاتهم؛ فهم كانوا يتفاخرون على الأجناس الأخرى قبل بعثة الرسول ﷺ؛ بأنهم منتظروه وعارفون بموعد بعثته، وسابقوه إلى دار هجرته انتظارا له على حد زعمهم!!!، لكنهم عندما بعث ﷺ؛ كذبوه مع أنهم يعرفونه حق المعرفة من خلال كتبهم وأحبارهم!!!.

إنه لمنتهى الجحود والتطرف الفكرى والمغالطة: أن يكون الحق جليا وينكره منكر؛ كمن يري الشمس بازغة ويشتكى من سواد الظلام!!، بل ويحاجّ فى ذلك كل من حوله، ذلك أنه أصبح يكذِّب كل ما حوله من حقائق لا تتمشى وهواه.

وإنه من فرط تماديه فى الكذب والتدليس؛ قد تمكن باستخدام مبدأ التبرير من إقناع نفسه شخصيا بهذا الكذب: وهو أنه يكفر بذلك النبى لا لشىء؛ إلا لأن هذا النبى ليس هو ذلك النبى الذى هم منتظروه، وأنهم على هدى وعلى صراط مستقيم؛ لأنهم مايزالون على العهد متأهبين لاستقبال ذلك النبى الخاتم الحقيقي الذي لم يأت بعد!!!!.

وذلك لأنهم لا يقبلون أن يكون نبيهم الذى ينتظرونه منذ سنين هو ذلك النبى الأمى؛ حيث أنهم يظنون أن النبوة هى الأخرى تباع وتشترى بالمال؛ بحيث يستحوذ عليها أغنى الأغنياء!!، بينما ذلك النبى فقير فى نظرهم؛ فلا يصلح أن يكون نبى!!!.

كما أن النبوة لا بد وألاّ تخرج من وجهة نظرهم عن نسل النبى إسحاق

عليه السلام.

أما الذى يقول إنه رسول (محمد ﷺ)؛ فهو من نسل إسماعيل عليه السلام.

وفى ذلك يظهر ما يعرف «بمبدأ التبرير»؛ فإنهم يبررون كفرهم بعدم صدق هذا النبى، وليس بسبب جحودهم، وإنكارهم لِما جاء فى التوراة (كتابهم المقدس)؛ لأن التوراة قد بشّرت بمبعث نبي عربي من بعد عيسى.

إذن هم يرون ألا ضير من أن يؤمنوا بالنبى الخاتم إن بُعث وحان زمانه، ولكنهم لا يرون أن هذا النبى الذى يقول إنه نبى آخر الزمان نبيا حقيقيا، بل هو للنبوة مدعٍ ولذلك هم لم يؤمنوا به!!!.

وإنما الحقيقة البازغة هى أنهم قد كفروا بالنبي ﷺ لأسباب تخصهم هم، وتخص أسلوب تفكيرهم المغالط؛ لأنهم إن آمنوا به، فمن وجهة نظرهم سوف يفقدون أموالهم، ومكانتهم التي يتيهون بها على باقى الأجناس!!.

وقد حدث ما كانوا يخشَون وهم ينظرون، وعلى التدليس والمغالطة مصرّون. فهم كانوا يعرفون حق المعرفة أن النبى سوف يبعث وأن هذا الزمان زمانه!!!، وأن النبي اسمه «أحمد»، وأن دار هجرته هي يثرب، فهل بعد كل هذا العلم قد آمنوا به بعدما بعثه الله، وهاجر «أحمد» إلى يثرب؟.

لا،لا، حاشا لله أن تفهم اليهود!!، أو أن يكون عندهم بُعد أو قرب نظر!!!!. لقد هاجر النبى ﷺ إلى يثرب، ورأوه وتأكدوا أنه هو، كما تروي السيدة صفية بنت حيي بن أخطب:

إنها سمعت أباها وعمها يتساءلان وهي ما تزال في «خيبر»؛ قال عمها أهو هو؟، فأجاب أبوها: نعم هو هو!!!.

وبالرغم من ذلك فاليهود لم يؤمنوا، بل كفروا به وعاندوا الحق، وأنكروا الشمس البازغة التى تبهر أبصارهم؛ وذلك أنهم قد أغمضوا أعينهم وتعاموا عن تلك الشمس!!!.